حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة
مجلة علمية محكمة

المبادرة الاجتماعية في القرآن الكريم
قصة نبي الله موسى عليه السلام
مع ابنتي صاحب مدين نموذجًا

تأليف

أ. د/ محمد أحمد محمود شلبي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

في كلية أصول الدين والدعوة

فرع جامعة الأزهر بالمنصورة

ملخص البحث باللغة العربية

المبادرة الاجتماعية في القرآن الكريم

قصة نبي الله موسى عليه السلام مع ابنتي صاحب مدين نموذجًا

محمد أحمد محمود شلبي

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة، جامعة الازهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: **m.shalaby.el@azhar.edu.eg**

ملخص البحث: هذا ملخص بحث بعنوان: «المبادرة الاجتماعية في القرآن الكريم، قصة نبي الله موسى عليه السلام مع ابنتي صاحب مدين نموذجا»

حاولت فيه التأصيل لمفهوم المبادرة الاجتماعية في القرآن الكريم، لتكون نموذجا يحتذيه القائمون بهذا النوع من المبادرات التي لا غنى لأي مجتمع عنها.

وقد اتخذت من قصة نبي الله موسى عليه السلام مع ابنتي صاحب مدين نموذجا للمبادرات الاجتماعية الناجحة، وقد بينت من خلال هذا النموذج الدافع وراء تلك المبادرات، وأهمية أن يكون خالصًا من أي غرض أو منفعة، كذلك عرضت للمؤهلات التي ينبغي أن تتوفر في القائم بالمبادرة سواء كانت مؤهلات روحية أخلاقية، أم مؤهلات بدنية، كما بينت ما يجب على المجتمع تجاه أصحاب المبادرات من حيث تكريمهم، وتشجيعهم، وحل مشكلاتهم التي تعوق تقدمهم، وتوفير البيئة التي تساعدهم على العمل والإنتاج من أجل تقدم مجتمعاتهم.

ثم خُتم البحثُ بأهم ما توصل إليه الباحث من نتائج وتوصيات.

والله المسؤول أن ينفع به كاتبه وقارئه، والحمد لله رب العالمين.

الكلمات المفتاحية: سورة القصص، قصة موسى، ابنتي شعيب، مدين، المبادرة.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

Social initiative in the Holy Quran The story of the Prophet of God, Moses, peace be upon him, with the daughter of Sahib Madyan as an example

Muhammad Ahmed Mahmoud Shalabi

Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah in Mansoura, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.

E-mail: m.shalaby.el@azhar.edu.eg

Research Summary: This is a summary of a research entitled: "Social initiative in the Holy Qur'an, the story of the Prophet of God Moses with the tow daughters of Median man as a model".

In it, I tried to consolidate the concept of social initiative in the Holy Qur'an, to be a model for those involved in this type of initiative that is indispensable to any society.

I took from the story of the Prophet of God Musa, peace be upon him, with the tow daughters of Median man as a model for successful social initiatives, and through this model I showed the motivation behind these initiatives, and the importance of it being free of any purpose or benefit, as well as being exposed to the qualifications that should be available in the initiator, whether They were spiritual, moral, or physical qualifications, as it showed what society should have towards the owners of initiatives in terms of honoring them, encouraging them, solving their problems that hinder their progress, and providing an environment that helps them work and produce for the advancement of their societies.

Then the research was concluded with the researcher's most important findings and recommendations.

And God is responsible for the benefit of its writer and reader, praise be to God, Lord of the worlds.

Keywords: Surat Al-Qasas, The Story of Musa, the tow daughters of Shuaib, Madyan, initiative.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فقد انتشر مصطلح (المبادرة) في الآونة الأخيرة في شتى مجالات الحياة: الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية باعتبارها أعمالا تؤدي إلى حياة أفضل للأفراد والمجتمعات، ورأى الباحث وغيره نماذج كثيرة لتلك المبادرات التي يتم تقديمها.

وقد استرعى نظرَ الباحث بعضُ الملاحظات على كثير من المبادرات التي يتم تقديمها، حيث شابها – من وجهة نظرٍ إسلامية- بعضُ القصور، عن قصد أو عن غير قصد، إما من ناحية الهدف من ورائها، وإما من ناحية الأسس التي بُنيت عليها، وغير ذلك من أوجه القصور، فكان ذلك دافعا إلى البحث في القرآن الكريم عن المنهاج الأمثل، والنموذج الأكمل للمبادرات، عسى أن يكون ذلك هاديا ونموذجا مرشدا لمن أراد أن يقدم مبادرة نموذجية تؤتي ثمارها المرجوة من ورائها.

وقد وجدت في رحاب القرآن الكريم اهتماما بذلك النوع من المبادرات، حيث عرض القرآن للمبادرات الاجتماعية بحديث منظم مؤصل.

وقد اختار الباحث قصة سيدنا موسى -عليه السلام- مع ابنتي صاحب مدين، كنموذج للمبادرات الاجتماعية حاولت من خلاله أن أؤصل لمفهوم المبادرات الاجتماعية من خلال القرآن الكريم، وأن أرفع النقاب عن المؤهلات التي ينبغي أن تتوفر في القائم بالمبادرة، وهي إما مؤهلات روحية أخلاقية، أو مؤهلات بدنية، ووجودها في القائم بالمبادرة مما يعينه على أداء مهمته على الوجه الأمثل، كما استنبطت من القصة واجب المجتمع تجاه القائمين بالمبادرات من حيث مساعداتهم على حل مشاكلهم التي تعوقهم عن أداء رسالتهم، وتشجيعهم وتكريمهم، وتهيئة البيئة المناسبة للعمل والإنتاج، وهو بلا شك دور مهم جدا في نجاح المبادرات ليتبين

للناس بعد كل ذلك أن المنهاج القرآني المعجز لم يترك شيئا مما يتعلق بشؤون الناس إلا تحدث عنه بصورة تهدي العقل والوجدان للتسليم لمنزل هذا القرآن جل في علاه.

وليست قصة موسى عليه السلام مع ابنتي صاحب مدين هي المثل الأوحد في القرآن للمبادرات الاجتماعية، فهناك عشرات النماذج غير أن ميدان البحث لا يتسع لإيرادها جميعا فاقتصر الباحث على أحد النماذج، ومائدة القرآن ممدودة، ونبعه فياض لا ينضب لمن أراد سلوك سواء السبيل.

والله المسؤول أن ينفع بهذا البحث كاتبه وقارئه، والحمد لله رب العالمين

مشكلة البحث:

١- هل اهتم القرآن الكريم بالحديث عن المبادرات الاجتماعية؟

٢- هل لهذه المبادرات ركائز تعتمد عليها؟

٣- ما المؤهلات التي ينبغي توفرها في القائم بالمبادرة؟

٤- هل تصلح قصة موسى أن تكون نموذجا للمبادرة الاجتماعية؟

حدود البحث:

ميدان هذا البحث قصة نبي الله موسى -عليه السلام- مع ابنتي صاحب مدين، التي وردت في سورة القصص، من الآية الثانية والعشرين إلى الآية الثامنة والعشرين وهي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ، وحتى قوله تعالى: وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (١).

أهداف البحث:

١- التأصيل لمفهوم المبادرات الاجتماعية في القرآن الكريم، واستخراج الركائز التي

---

(١) سورة القصص: ٢٢ – ٢٨.

ينبغي أن يعتمد عليها القائمون بالمبادرات الاجتماعية.

٢- بيان دور المفسرين في التعامل مع النصوص التي عرضت للمبادرات الاجتماعية.

٣- تقديم نماذج ناجحة لمبادرات اجتماعية قرآنية لتكون نماذج تُحتَذَى.

٤- الدعوة إلى الإفادة من القرآن الكريم في حل مشكلات الحياة.

٥- بيان المؤهلات التي ينبغي أن تتوافر في القائم بالمبادرة.

٦- بيان دور المجتمع في نجاح المبادرات بما يقدمه تجاه أصحاب المبادرات.

المنهج المتبع في البحث:

١- المنهج التحليلي الاستنباطي من خلال التركيز على النص القرآني، وبيان مورد الاستدلال على المبادرة الاجتماعية من خلال الأسلوب القرآني في عرضها.

٢- المنهج الوصفي في بيان الركائز التي ارتكزت عليها المبادرة والسمات والملامح التي تميزها وتتسم بها.

وقد اتبعت في البحث الخطوات التالية:

١- عزوت الآيات إلى مكانها من سورها في المصحف الشريف.

٢- عزوت الأقوال إلى أصحابها معتمدا على المراجع الأصلية المباشرة ولم أنقل عن واسطة إلا إذا تعذر الوصول إلى المرجع الأصلي.

٣- قمت بتخريج الأحاديث الواردة في البحث من كتب السنة باختلاف أنواعها.

٤- قمت بالرد على الإشكالات التي يمكن أن تثار حول بعض أحداث القصة.

٥- قمت برد الأقوال الضعيفة التي وردت في القصة مما يوهم خلاف ما ينبغي أن يكون عليه الأنبياء الكرام.

الدراسات السابقة:

تتبعت ما كُتِبَ حول موضوع المبادرات الاجتماعية في القرآن الكريم فلم أجد – حسب

علمي- أحدا عرض لذلك الموضوع بهذا الأسلوب الذي تناولته به، غير أنه يوجد بحث عرض للحديث عن قصة سيدنا موسى -عليه السلام- مع ابنتي صاحب مدين، ولكن من زاوية أخرى بعنوان: « دروس في الحوار وآدابه من قصة موسى -عليه السلام- مع صاحب مدين وبنتيه» د: طاهر أحمد محمد الريامي، مجلة جامعة الأندلس للعلوم والتقنية، ٢٠١٧م.

والبحث كما يظهر من عنوانه يركز على الدروس المستفادة من حوار موسى -عليه السلام- مع ابنتي صاحب مدين، ولم يعرض الباحث للحديث عن المبادرة الاجتماعية في القصة، ولا للحديث عن الركائز التي اعتمدت عليها، وإنما كان التركيز على الحوار بينه وبين الفتاتين.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الدراسة أن يأتي البحث في مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

تضمنت المقدمة مشكلة البحث، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وخطته، والدراسات السابقة.

ثم جاءت المباحث على النحو التالي:

التمهيد في تعريف المبادرة الاجتماعية في اللغة والاصطلاح، وبيان بعض المسائل في تفسير الآية

المبحث الأول: الدافع وراء القيام بالمبادرة الاجتماعية في ضوء القصة، ورد الشبهات المثارة حولها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان الدافع وراء قيام نبي الله موسى بتلك المبادرة.

المطلب الثاني: رد الأقوال الضعيفة والشبهات حول دوافع المبادرة.

المبحث الثاني: المؤهلات الواجب توافرها في القائم بالمبادرات الاجتماعية في ضوء القصة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المؤهلات الروحية والأخلاقية.

المطلب الثاني: المؤهلات البدنية.

المبحث الثالث: دور المجتمع تجاه أصحاب المبادرات الاجتماعية في ضوء القصة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تشجيع أصحاب المبادرات وتكريمهم ضمانا لاستمرار عطائهم

المطلب الثاني: معالجة المشكلات التي يمكن أن تعوق مسيرتهم الفاعلة في بناء الأوطان

المطلب الثالث: تهيئة البيئة المناسبة لأصحاب المبادرات للعمل والاستقرار والإنتاج

هذا وأرجو الله تعالى أن يوفقني لتناول مسائل هذا البحث على الوجه الذي يرضيه وأن يجنبني الزلل، والآن إلى قضايا البحث، والله ولي التوفيق.

تمهيد في تعريف المبادرة وزمان نزول سورة القصص، وموقع القصة من السورة الكريمة

أولاً: المبادرة لغة واصطلاحا:

- المبادرة في اللغة:

من خلال النظر في معاجم اللغة تبين أن مادة: (بَدَرَ) تدور حول معاني: الكمال، والامتلاء، والإسراع، ومن أمثلة معني الكمال: تسمية البدر بدرًا لامتلائه واكتماله، ومن أمثلة معنى الامتلاء، تسمية البدرة (صرة الدراهم والدنانير) بذلك لامتلائها، ومن أمثلة معنى الإسراع: قوله تعالى﴿ وَلاَ تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَاراً ﴾[(١)] أي إسراع بعض أولياء اليتامى إلى أكل أموالهم قبل أن يكبروا، فكأن الولي الظالم يسابق الزمن ويحاول أن يسبقه[(٢)].

وبين تلك المعاني تلازم واتصال، فالمبادر في مبادرته يقدم على ما يفعله بكامل قوته، ممتلئا إرادة وعزما على تنفيذ مبادرته، مع السرعة في أداء ما يفعله، وهو الأقرب لمعنى المبادرة في البحث.

- المبادرة في الاصطلاح:

لم أجد تعريفا للمبادرة الاجتماعية في الاصطلاح، ولكن يمكن استلال تعريف اصطلاحي لها بأنها:

المسارعة إلى خدمة الأفراد أو المجتمعات دون انتظار مقابل مادي أو معنوي.

---

(١) النِّسَاء: ٦.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس، ١/ ٢٠٩، تاج العروس للزبيدي ١٠/ ١٣٨، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ص: ١١٠، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي ١/ ١٦٦ كلها مادة (بدر)

ثانيًا: تعريف بسورة القصص التي وردت فيها آيات المبادرة

١- زمان ومكان نزول السورة:

سورة القصص سورة مكية، واستثنى بعض العلماء منها: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [١]، قيل: نزلت هي وآخرُ سورة الحديد في أصحاب النجاشي الذين قدموا وشهدوا وقعة أُحد[٢]، وكذلك استثنوا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [٣] وقيل: نزلت في وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ويرى الطاهر ابن عاشور أن هذا لا ينافي كون السورة مكية، لأن اعتبار المكي والمدني بالزمان لا بالمكان[٤]، قلت وهو الراجح في تعريف المكي والمدني عند العلماء حيث اعتبروا الزمان هو الحد الفاصل بين المكي والمدني، فما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وما نزل بعدها فهو مدني، وذلك لأن اعتبار الزمان ضابط وحاصر لجميع آيات القرآن بخلاف الاعتبارات الأخرى فهي غير ضابطة ولا حاصرة[٥].

---

(١) القصص: ٥٢: ٥٥.

(٢) والراجح والله أعلم أن الآيات مكيات، لأن القول بمدنيتها يحتاج إلى دليل صحيح، حتى يقال باستثنائها من سائر السورة، والأثر المروي في ذلك لم يثبت، قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٢١ "رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه"، وقال السيوطي في لباب النقول ص: ٢٠٥ "وأخرج الطبراني في الأوسط بسند فيه من لا يعرف".

(٣) القصص: ٨٥.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور ٢٠/ ٦١.

(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ١/ ١٨٧، قال: "وهو المشهور" وقد فصل الشيخ الزرقاني في مناهل العرفان القول في معنى المكي والمدني وخلاصة كلامه ما ذُكر في المتن، ينظر: مناهل العرفان ١/ ١٩٣.

وعدد آياتها: ٨٨ (ثمان وثمانون آية) باتفاق العلماء[١].

٢ – وجه تسميتها بهذا الاسم (القصص):

وجه تسمية السورة بهذا الاسم هو وقوع لفظ القصص فيها، ويراد به ما قصَّه نبي الله موسى على صاحب مدين، ورواه له من تاريخه وحاله في مصر حتى وصل إليه في مدين[٢].

٣ – موضع آيات القصة من السورة:

قصة موسى – عليه السلام – مع صاحب مدين وابنتيه حلقة من حلقات قصته الكبيرة، تتحدث هذه الحلقة عن خروجه من مصر خوفا من أن يؤخذ بقتله المصريَّ خطأً، فترَكَ مصر بناء على نصيحة الرجل الذي جاءه يسعى ليحذره من بطش فرعون وجنده، فخرج منها خائفا يترقب، ويمَّمَ وجهه شطر مدين داعيا ربه أن يهديه سواء السبيل، ولما ورد ماء مدين وجد الفتاتين تحاولان أن تسقيا أغنامهما ولا تستطيعان، فبادر بتقديم المعونة لهما على غير سابق معرفة، لما فُطِر عليه من أخلاق النبوة وشيم الرسالة، وفي مدين بدأ فصل جديد من حياته –عليه السلام– حيث التقي بصاحب مدين وعمل لديه وتزوج إحدى ابنتيه، ثم رجع بأهله إلى مصر، ليبدأ فصلا جديدا من حياته، مع النبوة والرسالة.

وقد كانت رحلته عليه السلام إلى مدين هجرةً إلى الله تعالى، كما هاجر كثير من الأنبياء عليهم السلام، كما أشار إلى ذلك الطاهر ابن عاشور – رحمه الله–[٣].

---

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري ٣/ ٣٩١، المحرر الوجيز لابن عطية، ٤/ ٢٧٥، مفاتيح الغيب للرازي ٢٤/ ٥٧٧، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٤/ ١٧١، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي١/ ٦٢، روح المعاني للألوسي ١٠/ ٢٥١.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٠/ ٦١، التفسير الوسيط للدكتور وهبة الزحيلي ٣/ ١٩١٢.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٠/ ٩٧.

٤ – اسم الفتاتين اللتين ساعدهما موسى، واسم أبيهما:

أورد المفسرون كلاما كثيرا في بيان اسم الفتاتين اللتين ساعدهما موسى عليه السلام، واسم أبيهما، هل هو شعيب أم غيره، ويرى الباحث أن الخوض في مثل تلك الخلافات لا طائل من ورائه، فالأولى النفاذ إلى العبر والعظات والفوائد والدلالات المستفادة من القصة، دون الدخول في تلك التفاصيل التي لا سند لكثير من أدلتها ولا فائدة من وارئها[(١)]. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [(٢)]، وقوله تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [(٣)].

٥ – التعريف ب (مَدْيَن) مكان حدوث المبادرة:

(مَدْين) مدينة تقع في المنطقة ما بين الحجاز وخليج العقبة قريبا من ساحل البحر الأحمر وتمتد من بلاد الشام حتى تبوك في المملكة العربية السعودية، وقد كانت موطنا لدعوة نبي الله شعيب عليه السلام[(٤)].

---

(١) رجح الإمام ابن كثير أنه ليس بشعيب النبي المذكور في القرآن، لأنه لو كان شعيبا لنص القرآن على اسمه، وبأن شعيبا مات قبل زمن موسى بفترة طويلة، لأنه قال لقومه: (وما قوم لوط منكم ببعيد) [هود: ٩٥] . وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل، عليه السلام، بنص القرآن، وقد علم أنه كان بين موسى والخليل، عليهما السلام، مدة طويلة تزيد على أربعمائة سنة. ا.هـ. ينظر تفسير ابن كثير ٦/ ٢٢٨.

(٢) سورة يوسف: ١١١.

(٣) سورة الأعراف: ١٧٦.

(٤) ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٥/ ٧٧.

المبحث الأول

الدافع وراء القيام بالمبادرة الاجتماعية في ضوء القصة ورد الشبهات المثارة حولها

المطلب الأول: بيان الدافع وراء قيام نبي الله موسى عليه السلام بمبادرته

كان الدافع في مبادرة نبي الله موسى -عليه السلام- دافعا نبيلا، وكانت غايته غايةً شريفة، فقد بُنيت مبادرته على أساس متين من تقوى الله تعالى، والرغبة فيما عنده من ثواب باقٍ، وكانت تلبية لداعي المروءة والنجدة المركوزة في فطرته، ولم تكن طمعا في أي عرض من أعراض الدنيا، فكان لتلك المبادرة نصيب وافر من نبل القصد وشرف الغاية والتجرد لفعل الخير.

وقد دل على ذلك من القصة قولُ الله تعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ فقد دلت الآية على أنه بعد أن ساعد الفتاتين، انصرف عنهما – مع ما به من التعب والنصب- وأوى إلى ظل الجدار ببدنه، وإلى الله - تعالى- بقلبه وهتف به شاكيا إليه – لا إلى سواهما به من مسغبة وفاقة، وهي كلمة «جامعة للشكر والثناء والدعاء»(١).

وقد أوضح الزمخشري ذلك فقال ما ملخصه: « وإنما فعل هذا رغبة في المعروف وإغاثة للملهوف، والمعنى: أنه وصل إلى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه أمّة من أناس متكاثفة العدد، ورأى الضعيفتين مترقبتين لفراغهم، فما أخطأت همتُه في دين الله تلك الفرصةَ فأغاثهما، وكفاهما أمرَ السقي بقوّة قلبه وقوّة ساعده، وفيه ترغيبٌ في الخير، وانتهازُ فرَصِهِ، وبعثٌ على الاقتداء في ذلك بالصالحين والأخذ بسيَرهم »(٢).

قلت: وكذلك ينبغي أن يكون أصحاب المبادرات على جانب كبير من نزاهة القصد ونبل الغاية، وطهارة النفوس والقلوب، والتعلق بما عند الله عز وجل، فقد لا يكون لأصحاب

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ٢٠/ ١٠٢.

(٢) الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٠١).

المبادرات الاجتماعية نصيب كبير من عرض الدنيا، ولكن ينبغي أن يكون لهم أوفى نصيب من الرضا بالله وبما عنده، والقناعة بما عنده، فإن هذا هو الغنى.

وهذا هو عين الإخلاص في المفهوم الإسلامي، وقد وردت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تبين ما للإخلاص من فضل وثواب وأثر عظيم في الدنيا والآخرة، ولا يتسع هذا البحث لإيراد كل الأدلة، ولكن حسبنا أن نكتفي ببعضها لتكون حاديا لأصحاب المبادرات الذين يرجون الله والدار الآخرة.

فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[١]، والآيات التي تحدثت عن فعل الخير من غير طلب مقابل مادي أو معنوي عليه وهي كثيرة في القرآن، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾[٣]، وقوله تعالى في أكثر من موضع في سورة الشعراء على لسان كثير من أنبيائه الكرام: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤].

ومن السنة قول النبي ﷺ: «الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى .... الحديث»[٥].

وقد وضع الإمام البخاري رحمه الله هذا الحديث في كتاب الإيمان ليدل بصنيعه هذا على

---

(١) سورة الإنسان: ٩.

(٢) سورة يوسف: ١٠٤

(٣) سورة الفرقان: ٥٧

(٤) سورة الشعراء: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى، ١/ ٢٠، رقم: ٥٤.

أن الإخلاص في العمل لوجه الله تعالى من صميم الإيمان، وأن المؤمن الحق هو الذي يتوجه بكل عمل إلى ربه يرجو ثوابه وما عنده.

إن الإيمان بالله واليوم الآخر وبلقاء الله تعالى هو الفارق بين المسلم وغيره، فالمسلم يعمل العمل لوجه الله موقنا أنه سيلقاه يوم لقاء ربه وسيجازيه على ما قدَّم، وأما غير المسلم فليس له قصد ولا نظر إلا إلى الدنيا وأما الآخرة فهم منها على شك وإنكار .

فليتأمل أصحاب المبادرات في هذه الأدلة من الكتاب والسنة لتكون لهم هاديا إلى تصحيح نواياهم في أعمالهم ليكون لهم من ورائها ما يبيض الله به وجوههم في الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني: رد الأقوال الضعيفة ودفع الإشكالات الواردة في القصة

أولاً: رد قولٍ ضعيف في تفسير الآية:

أورد بعض المفسرين أنه - عليه السلام - لما قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ رفع صوته لُيسمِع المرأتين فتضيفاه، أو أنه قال ذلك تعريضا بحاله ليُلتفت إليه فيدعى للطعام(١).

قلت: وهذا قول ضعيف، وادعاء ينقصه الدليل، ويتنافى مع طبائع الأنبياء وصفاتهم التي فطروا عليها، وانسياق وراء أقوال محكية في التفاسير من غير تمحيص ولا نقد، وكم من أخطاء وقعت في كتب التفسير كان السبب فيها الاعتماد على أقوال السابقين من المفسرين وتهيب النظر فيها بعين الفحص والنقد.

وقد ضعف الإمام الرازي - رحمه الله - هذا الرأي في تفسيره معللا ذلك بأنه لا يتفق مع طبائع الأنبياء ولا يليق بمقامهم، وربما قال ذلك في نفسه مناجيا ربه سبحانه وتعالى، فالرواية على هذا مردودة غير صحيحة(٢).

وإذا كان ذلك مستبعدا من كرام الناس وأهل الهمم والمروءات، فهو من نبي من أنبياء الله تعالى أشد استبعادا، فضلا عن أن يكون من أولي العزم منهم.

والمتأمل في سياق الآيات يرى أنه لا يساعد هذا الرأي فقد صرحت الآيات بأنه بعدما سقى لهما ولَّاهما ظهره مقبلا على الله تعالى بعد أن أدى واجب المروءة والإنسانية، كما صرح بذلك الإمام البقاعي رحمه الله(٣).

كذلك فإن في معنى الفعل: ﴿تولَّى﴾ من المبالغة في التولي والانصراف أقوى من «ولَّى» لأن

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ١٩/ ٥٥٧، الكشاف للزمخشري ٣/ ٤٠٢، المحرر الوجيز لابن عطية ٤/ ٢٨٤.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، ٢٤/ ٥٨٩.

(٣) ينظر: نظم الدرر ١٤/ ٢٦٦.

زيادة المبني تدل على زيادة المعنى كما أفاده الطاهر ابن عاشور[١]، وهو ما يؤكد أنه أعرض إعراضا كليا عنهما، وأقبل إقبالا كليا على الله تعالى.

فكيف يليق به أن يجمع بين مناجاة ربه والإقبال عليه، وبين الرغبة في إسماع الفتاتين والتعريض بحاله لتدعواهُ لأخذ الأجر، إن ذلك لا يكون من أهل المروءات من الناس فكيف بنبي من أولي العزم؟! .

ثانيًا: إشكال ودفعه في القصة:

وقد تلوح ههنا شبهة، مفادها: أنه إذا لم يعمل هذا العمل لأجل مقابل فلماذا قبل ضيافة والد الفتاتين، وأكل طعامَه؟

ومجمل الجواب عن ذلك أن الأساس أن ينبعث القائم بالمبادرة عن نية صادقة في فعل الخير لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته، فإذا عُرض عليه مقابل وكانت حاله تستدعي القبول فإنه لا حرج عليه عندئذ في قبوله والانتفاع به، خصوصا إذا كانت حاله تستدعي قبول ذلك «لأن المكافأة من شيم الكرام، وقبولها لا غضاضة فيه» كما قال البقاعي رحمه الله[٢].

وبمثل هذا أجاب المفسرون: الزمخشري، والرازي، والطاهر ابن عاشور، وعبد الكريم الخطيب[٣].

وفي هذا توجيه كريم لمن يقومون بمبادرات اجتماعية أن يخلصوا نياتهم لله تعالى ولأوطانهم ومجتمعاتهم، وأن لا تكون مبادراتهم شَرَكًا لنيل مآربٍ وحظوظ، فإن ذلك يحبط

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير٢٠/ ١٠٢.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ١٤/ ٢٦٨.

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري ٣/ ٤٠٢. مفاتيح الغيب للرازي ٢٤/ ٥٩٠، التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ٢٠/ ١٠٤، التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب ١٠/ ٣٣٦.

أعمالهم ويجعلها هباءً منثورا، لا تبقى إلا يسيرا ثم تتلاشى وتُنسى، أما الذين ينبعثون في مبادراتهم من نية صادقة، ورغبة نبيلة فهم أصحاب الخلود في ذاكرة التاريخ والمجتمعات والأوطان، وفوق ذلك في رياض الجنات وتلك عقبى الذين اتقوا، ونعم عقبى الدار.

فإذا ما أخلص المبادر نيته ثم أتته المكافأة من أبناء مجتمعه وكان محتاجا إلى ذلك فإنه لا ضير عليه أبدًا في قبول تلك المكافأة بعدما طهرت نيته وزكت نفسه وشرفت غايته، بل إن من الواجب على المجتمع أن يكافئ المبادرين أصحاب الهمم والمروءات كما سنبين ذلك في محله من البحث، ولكن فرق كبير بين من يطلب المكافأة ويقيم مبادرته من أجلها، وبين من تُعرض عليه بعدما يكون قد أتم عمله على أكمل وجه وأوفاه!

وقد تجلى من خلال قصة موسى عليه السلام ما يؤكد ذلك، فلنتبع الهدي القرآني نرشدْ ونسعدْ.

المبحث الثاني

المؤهلات الواجب توافرها فيمن يقوم بالمبادرة الاجتماعية في ضوء القصة

بيَّنت آيات القصة ما ينبغي أن يتمتع به القائم بالمبادرة من مؤهلات تعينه على إنجاح مبادرته.

وقد أوجزت القصة هذه المؤهلات في وصفين جامعين، هما: ﴿الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾، قال الزمخشري رحمه الله: « وهو كلام حكيم جامع لا يُزاد عليه؛ لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان، أعنى: الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك»[(١)].

قال الطاهر ابن عاشور: « ومجيء هذا العموم عقب الحديث عن شخص معين يؤذن بأن المتحدَّث عنه ممن يشمله ذلك العموم فكان ذلك مصادفًا المحزَّ من البلاغة؛ إذ صار إثبات الأمانة والقوة لهذا المتحدَّث عنه إثباتًا للحكم بدليلٍ، فتقدير معنى الكلام: استأجِرْهُ فهو قوي أمين وإن خير من استأجر مستأجرٌ القوي الأمين، فكانت الجملة مشتملة على خصوصية تقديم الأهم، وعلى إيجاز الحذف[(٢)]، وعلى المذهب الكلامي[(٣)]، وبذلك استوفت غايةَ مقتضى

---

(١) الكشاف للزمخشري٣/ ٤٠٣.

وقد علق ابن المنير على كلام الزمخشري قائلا: « وهو أيضا أجمل في مدح النساء للرجال من المدح الخاص وأبقى للحشمة، وخصوصا إن كانت فهمت أن غرض أبيها -عليه السلام- أن يزوجها منه، وما أحسن ما أخذ الفاروق -رضى الله تعالى عنه- هذا المعنى فقال: «أشكو إلى الله ضعف الأمين وخيانة القوى»، ففي مضمون هذه الشكاية سؤال الله تعالى أن يتحفه بمن جمع الوصفين، فكان قويا أمينا يستعين به على ما كان بصدده رضى الله عنه» ا.هـ من حاشية الانصاف على الكشاف لابن المنير السكندري، الإنصاف ٣/ ٤٠٣.

(٢) إيجاز الحذف، هو: حذف شيء من العبارة لا يخلّ بالفهم، عند وجود ما يدل على المحذوف من قرينة لفظية أو معنوية. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للهاشمي ص: ١٩٩.

(٣) المذهب الكلامي: أن يورد المتكلم على صحَّة دعواه حُجَّة قاطعة مسلمة عند المخاطب، بأن تكون =

الحال فكانت بالغةً حد الإعجاز»[١].

فلابد أن تتوافر مؤهلات خاصة في القائم بالمبادرة كيما تتم وتنجح، وتؤدي دورها في المجتمع وينعكس أثرها على أرض الواقع، أما من يريد الدخول إلى ميادين المبادرات بلا عُدة، فهو كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح، ومثل هذا متوقع فشله وعدم جدوى ما يقوم به.

ونستطيع في ضوء ما تقدم أن نقسم المؤهلات الواجب توافرها فيمن يريد أن يقوم بمبادرة اجتماعية في مطلبين، وهما:

=

المقدمات بعد تسليمها مستلزمة للمطلوب.

ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر لابن أبي الإصبع العدواني، ص: ١١٩، البديع في البديع لابن المعتز، ص: ١٤٧، ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان للهاشمي، ص: ٣٠٥.

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٠/ ١٠٦.

المطلب الأول: المؤهلات الروحية والأخلاقية

لا تنجح أية مبادرة إلا إذا توفرت فيها مجموعة من المؤهلات الأخلاقية والروحية التي توجهها إلى أفضل طريق، وتردها إلى سواء السبيل إذا واجهتها إغراءات ومطامع، فالأخلاق هي أقوى الأسلحة التي تعصم المبادِر من الشطط والانحراف في مبادرته وتضمن له إتمام مبادرته على وجه يشرفه أمام الله وأمام الناس، فإذا ما خلت المبادرة الاجتماعية من العنصر الأخلاقي فلا خير فيها، وقد قال الشاعر

وإذا أُصيب القوم في أخلاقهم فأقِمْ عليهم مأتما وعويلا[(١)].

وقد استطاع الباحث أن يستخرج مجموعة من الأخلاق التي وجدت في مبادرة نبي الله موسى الاجتماعية كانت سببا في نجاحها وتخليد القرآن لها، ليتخذها القائمون بالمبادرة نبراسا يضيء لهم الطريق للنجاح والتأثير، وذلك على النحو التالي:

أولا: المؤهلات الروحية:

ويقصد بها ذلك الاستعداد الفطري المركوز في نفس المبادر من التعلق بالله وإيثار ما عنده والرغبة في ثواب الآخرة، وهو أمر ذاتيٌّ داخلي متعلق بالمبادر، بخلاف المؤهلات الأخلاقية التي سيأتي الحديث عنها بعدُ فهي أمر متعدٍ بما له من علاقة بالغير.

وقد اتضح ذلك في مبادرة موسى عليه السلام، فقد كانت ظروفه -عليه السلام- غاية في الصعوبة حين خرج من مصر فارًّا من بطش الظالمين، فلم يكن يعرف إلى أين يتوجه، حسبما دل عليه ظاهر قوله تعالى على لسانه عليه السلام: ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ولم يكن معه زاد، ولا حذاء، ولا ظهر، ولا درهم، ولا رغيف، على بعد المسافة ما بين مصر ومدين، فقد

---

(١) ديوان الشوقيات، أحمد شوقي ١/ ١٨٤.

ذكر المفسرون أنها كانت ثماني ليال، ليس له طعام سوى ورق الشجر، وكان رفيقه الوحيد في تلك الرحلة الرهيبة حسن ظنه بربه سبحانه وتعالى[١]، فهداه الله تعالى إلى طريق مَدْيَن التي وجد بها الأمن بعد الخوف، والمأوى والسكن بعد العراء والتشرد، والأهل والأسرة بعد الوحدة والوحشة.

إن هذا يدل على ما كان يتمتع به موسى -عليه السلام- من رصيد كبير من نقاء الفطرة، ورهافة الشعور، والتعلق بالله تعالى في كل شؤونه، وهي مؤهلات ينبغي توافرها في أي قائم بالمبادرة، وعليه أن يغذيها وأن يستديمها، وأن يزيد من رصيده من تلك المؤهلات.

وقد بين الإمام ابن كثير أن الله تعالى قد تولَّى موسى عليه السلام برعايته وعنايته لما توجه إليه واعتمد عليه، وفوض أمره إليه، فهداه لأمر دينه ودنياه وجعله هاديا مهديا[٢].

قلت: وتلك سنة الله تعالى مع أهل ولايته واتباع طريقه المستقيم

وهكذا فإن التوكل على الله تعالى وحسن الظن به والثقة فيما عنده من أعون الأسباب على النجاة من البلاء والخروج من المآزق.

والمتتبع لحياة سيدنا موسى عليه السلام يجد نفسًا أوابةً متعلقة بالله تعالى خائفة منه، وذلك في سورة القصص، التي هي محل القصة، وفي غيرها من سور الكتاب الحكيم التي تحدثت عن موسى عليه السلام

- ففي سورة القصص سمعناه وهو خارج من مصر، وقد توجه ببدنه تلقاء مدين، وبقلبه

---

(١) استفاد الباحث ذلك من مجموع آثار أخرجها الطبري في جامع البيان، ١٩/ ٥٤٩، ٥٥٠.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٦/ ٢٢٦.

تلقاء ربه ومولاه، يقول: ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (١).

- وسمعناه لما قتل المصري خطأً يستغفر ربه، ويعترف بما فعله، ويجأر إلى الله بطلب العفو والغفران، مع أنه لم يكن يقصد القتل على الإطلاق، ولكنه قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ (٢).

- ثم رأيناه في ختام الآيات قد جعل التوكل على ربه توقيعا وقَّع به على عقد زواجه، وذلك في قوله: ﴿وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (٣).

وهذا يدل على أن فطرته كانت نقية صافية، وأن رصيده الروحي كان عظيما، ودليلا على أن الله اصطفى أنبياءه، ونقَّاهم من كل ما يشوب فطرتهم، وطَبَعهم على مكارم الأخلاق والتعلق به عز وجل.

وليس ذلك غريبا على من تسلسل من نسل الأنبياء، حيث التقى موسى عليه السلام في تلك الصفة بأبيه إبراهيم عليه السلام الذي كان ذا نفس أوابة، وقلب سليم، وكثير من كلام موسى الذي أورده القرآن مستقى من كلام إبراهيم عليه السلام أفاد ذلك الإمام الرازي رحمه الله في تفسيره، حيث قال: « أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿عَسى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَواءَ السَّبِيلِ﴾ فَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِ جَدِّهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (٤). وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَلَّمَا يَذْكُرُ كَلَامًا فِي الِاسْتِدْلَالِ وَالْجَوَابِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَّا مَا ذَكَرَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهَكَذَا الْخَلَفُ الصِّدْقُ

---

(١) القصص: ٢٢.

(٢) القصص: ١٦.

(٣) القصص: ٢٨.

(٤) سورة الصَّافَّاتِ: ٩٩.

لِلسَّلَفِ الصَّالِحِ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمْ وَعَلَى جَمِيعِ الطَّيِّبِينَ الْمُطَهَّرِينَ»[١].

إن في موقف كليم الله تعالى، وعواطفه الجياشة، وضراعته إلى ربه، والتجائه إليه، وثقته به، وتجرده لدليلا رائدا، ونموذجا مرشدا لأصحاب المبادرات الاجتماعية يحتذونه وينسجون على منواله في التعلق بالله تعالى، وجعلِ ما يقدمونه ذخرا لأنفسهم عند ربهم، وألا يجعلوا الدنيا أكبر همهم ومبلغ قصدهم من مبادراتهم، فلم يكن كليم الله – عليه السلام– يعرف الفتاتين ولا أباهما، لكونه غريبا عن تلك البلدة، ومع ذلك قام بما يجب عليه نحوهما رغبةً في الخير وحبا في اصطناع المعروف، مع ما أحاط به من ظروف قاسية، فقد كان على جانب كبير من التعب، وكان هاربا، فإذا انضاف إلى ذلك حرارةُ الجو الذي يدل عليه لجوؤه إلى الظل، دلَّ على أن ما فعله ضرب من البطولة النادرة التي لا تتهيأ لكثير من الرجال.

ثانيًا: المؤهلات الأخلاقية:

ويقصد بها مجموعة الأخلاق التي يجب توفر الحد الأدنى منها في القائم بالمبادرة، والتي بدونها لا يمكن للمبادرة الاجتماعية أن تنجح، فالأخلاق ركن ركين في أي عمل، وإذا عرى العلم عن الخلق فلا خير فيه، وقد تجلى لنا في قص نبي الله موسى عليه السلام مجموعة من الأخلاق العالية الرفيعة، وهي:

١- الأمانة، والعفة، والقناعة:

وإلى ذلك يشير قول الله تعالى في القصة في وصف موسى بأنه: : ﴿الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ .

ويخطئ الكثير من الناس حين يحصرون مفهوم الأمانة في مجرد حفظ الودائع المادية وإيصالها إلى أصحابها، فللأمانة مدلول أوسع من ذلك، إذ هي أعم وأوسع من أن يُحصَر

(١) مفاتيح الغيب، للرازي ٢٤/ ٥٨٨.

مدلولها في المعني المادي الحسي، وهو ما قررته آيات القصة حيث خرجت بمفهوم الأمانة إلى فضاء أوسع وأرحب، وهو الأمانة على المعنويات كالأسرار والأعراض وما إليها، ووصفت كليم الله تعالى بأنه أمين، وما ثم إلا الأمانةُ على العِرض، فإطلاق القرآن الأمانة على موسى خروج بمفهوم الأمانة « من معناه الضيق الذي حصره فيه الناس وهو حفظ الودائع المادية إلى معنى أوسع وأرحب؛ فإن الأمانة في نظر الشارع واسعة الدلالة وهي ترمز إلى معانٍ شتى مناطها جميعا شعور المرء بتبعته في كل أمر يوكل إليه، وإدراكه الجازم بأنه مسؤول عنه أمام ربه»[(١)].

فالأمانة تشمل بالإضافة إلى الأموال: الأمانة على الأعراض، والمعارف والعلوم، والولايات، والشهادات، والقضاء، والكتابة، والأسرار، والسمع، والبصر، وسائر الحواس[(٢)].

وعموم النصوص الواردة بالأمر بأداء الأمانات في القرآن والسنة يدل على أن الأمانة أعم من أن ينحصر مدلولها في نطاق الأمانات الحسية[(٣)].

وقد كان واضحا قدرُ ما تمتع به نبي الله موسى -عليه السلام- من أمانة وعفة في مبادرته، وهذا يلمحه من أحاط بصره بصورة الموقف كاملة ليتجلى له مقدار أمانة وعفة كليم -عليه السلام- باعتباره قائما بالمبادرة، حيث ضرب أروع الأمثلة في الأمانة، والعفة التي ينبغي أن

---

(١) خلق المسلم، محمد الغزالي، ص: ٤٥.

(٢) ينظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص: ٦٤٩، ٦٥٠ بتصرف.

(٣) من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: " المستشار مؤتمن" سنن الترمذي، أبواب الأدب، باب أن المستشار مؤتمن، رقم (٢٨٢٢)، وقال: " «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَقَدْ رَوَى غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ شَيْبَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّحْوِيِّ، وَشَيْبَانُ هُوَ صَاحِبُ كِتَابٍ وَهُوَ صَحِيحُ الحَدِيثِ، وَيُكْنَى أَبَا مُعَاوِيَةَ» وقوله صلى الله عليه وسلم: "المؤذن مؤتمن" سنن الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء أن الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن، رقم: (٢٠٧)، ومجمل كلام الترمذي يدل على صحته. فالأمانات الواردة في الروايتين ليست حسية.

يراعيها القائمون بالمبادرات الاجتماعية، حتى لا تتحول تلك المبادرات إلى شِراك تُنصَب للناس، ووسائل لتحقيق مآرب وأغراض تتنافى مع المروءة والشهامة، والأخلاق العالية.

وقد تجلت أمانته وعفته -عليه السلام- في أسلوبه في التعامل مع الفتاتين، فقد ساعدهما، ثم تولى إلى الظل، ولم يذكر القرآن له كلاما مع الفتاتين سوى قوله: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾؟ فقط! ، وهي كما يرى القارئ جملة استفهامية قصيرة تعرَّف من خلالها على مشكلتهما، ثم باشر عمله وقام بواجبه في صمت، دون الدخول في حوار مع الفتاتين لا جدوى من ورائه.

كذلك تجلت عفته – عليه السلام- في انصرافه بعدما سقى لهما، دون انتظار عبارات الشكر منهما وتبادل أطراف الحديث، مع أن الوضع قد يساعده على ذلك فقد قدم لهما معروفا، ومع ذلك أبت عليه أمانته وعفته أن يطلب على معروفه أجرا حتى ولو بالكلام(١).

قلت: والأمانة على العرض، دليل على الأمانة على ما سواه، فهو أغلى ما يؤتمن المرء عليه.

فلينظر وليتأمل أصحاب المبادرات إلى ذلك النمط الفريد من الخلق العالي ليكون لهم نورا على درب العمل الإنساني يبلغ بهم الغاية مما يريدون.

٢- المروءة والنجدة:

فقد رأينا من موسى -عليه السلام- مروءة وهمة عالية، تجلت في فزعه من منظر الفتاتين حين رآهما واقفتين في ناحية بعيدة عن الماء، فسألهما ﴿ما خطبكما﴾، والخَطْبُ: «الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب»(١).

---

(١) دروس في فن الحوار وآدابه من قصة موسى عليه السلام، د طاهر الريامي، ص: ٤٥٥.

(١)، المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ص: ٢٨٦.

والتعبير بالخطب في القصة يدل على استعظامه عليه السلام لمنظر الفتاتين الواقفتين بلا معاون أو مساعد، فأبت عليه نفسه الأبية وفطرته الصافية النقية أن يراهما على تلك الحال ثم لا ينهض لمعاونتهما، وذلك من علامات نقاء الفطرة وقوة الرجولة .

وفي ذلك حث على تقديم يد العون وبذل ما في الوسع لإعانة الآخرين، حتى ولو كلف ذلك جهدا وعرقا وتعبا، فمآله دائما إلى خير.

وهذا ما ينبغي أن يتصف به القائم بالمبادرة من رهافة الحس والاستعداد للقيام بالمبادرة بمجرد أن تلوح في الأفق أماراتها بلا توان أو تكاسل، وهذا مما يشير إليه معنى المبادرة في اللغة حيث تقدم أنها تشير في بعض معانيها إلى السرعة، والمقصود بها السرعة إلى تلبية نداء الفطرة والمروءة والنجدة، بالإضافة إلى السرعة في أداء الفعل بهمة ونشاط، وقديما قال طَرَفة:

إذا القومُ قالوا من فتىً؟ خِلتُ أنني عُنيتُ فلم أكسَل ولم أتبلَّدِ[(١)].

٣- الإيثار:

الإيثار هو: « تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية، ورغبة في الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة»[(٢)].

ومفهوم الإيثار في القصة خلاف المفهوم المعروف للإيثار، فلم يكن نبي الله موسى عليه السلام يملك ما يؤثرهم به على نفسه من حظوظ الدنيا، فآثرهم بما يملك من فضل القوة التي كان محتاجا إليها، وذلك معنى رفيع من معاني الإيثار، لا يقل رفعةً عن الإيثار بالمعنى المادي المعروف، لقد كان موسى عليه السلام على غاية من الجهد والضعف والجوع، وكان في أشد

---

(١) البيت من معلقة طرفة، وهو في ديوانه، ص ٢٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي، ١٨/ ٢٦.

الحاجة إلى المعاونة والمساعدة، ومع ذلك آثر الفتاتين بفضل قوَّته، مع احتياجه لذلك في غربته، فلينظر أصحاب المبادرات إلى ذلك الخلق الرفيع والنموذج الكامل؛ ليقتدوا به في مبادراتهم نحو مجتمعاتهم وأن عليهم إذا تعارض حق المجتمع مع حظوظ النفس التي لا تضر بالدين، أن يتحلى بهذا الخلق الذي يكشف عن أصالة المعدن، وكرم النفس وسخاوتها، وحسن الظن بالله، وعلو الهمة، والرحمة بالخلق.

أما أن يفضل القائم بالمبادرة مصلحة نفسه على مصلحة مجتمعه وأن يجعل هدفه من وراء مبادرته النفع الشخصي فذلك دليل على خسة الطبع واللؤم وسوء الظن بالله ودنو الهمة، وتلك أخلاق السِّفلة وأراذل الناس، وليست أخلاق أهل المروءة والشهامة.

٤- الوفاء بالعهد:

والوفاء بالعهد: تتميمه وحفظه وعدم نقضه، كما في مفردات الراغب[١].

وقد تجلى لنا في القصة خلق الوفاء بالعهود واضحا جليا في سلوك نبي الله موسى عليها السلام، حيث تعاهد مع والد الفتاتين على خدمته ثماني سنوات، أو عشرًا، في مقابل الزواج بإحداهما، وقد وفى بما عاهد عليه صهره، وأتم له أوفى الأجلين، وهو العشر.

أخرج البخاري – رحمه الله – عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: «سَأَلَنِي يَهُودِيٌّ مِنْ أَهْلِ الحِيرَةِ أَيَّ الأَجَلَيْنِ قَضَى مُوسَى؟ ، قُلْتُ: لاَ أَدْرِي، حَتَّى أَقْدَمَ عَلَى حَبْرِ العَرَبِ فَأَسْأَلَهُ، فَقَدِمْتُ، فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: «قَضَى أَكْثَرَهُمَا، وَأَطْيَبَهُمَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا قَالَ فَعَلَ»[١].

---

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص٨٧٨ (وَفَى)

(١) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد، ٣/ ١٨١، رقم: ٢٦٨٤.

والمتأمل في صنيع الإمام البخاري رحمه الله حين وضع هذ الحديث في كتاب الشهادات باب من أمر بإنجاز الوعد، يدرك أهمية هذا الخلق، في حياة المسلم، وأثره الطيب على الأفراد والمجتمعات.

فعلى القائمين بالمبادرات الاجتماعية التخلق بهذا الخلق الذي ينم عن الشعور بالمسؤولية.

المطلب الثاني: المؤهلات البدنية

والمقصود بالمؤهلات البدنية ما ينبغي أن يكون عليه القائم بالمبادرة من مؤهلات جسدية من شأنها أن تعينه على إتمام مبادرته على الوجه الأكمل، فإن الضعيف البنية الخائر العزم لا يبني أمة ولا ينهض بواجب.

وقد دل الوصف بالقوة على هذا النوع من المؤهلات، وظاهر لفظ القوة يقتضي أنها قوة البدن، وفيما أورده المفسرون من آثار متعلقة بذلك دليل على هذا المعنى.

ففي تفسير الطبري عن ابن عباس أن إحدى الفتاتين لما أشارت على أبيها أن يستأجره لقوته وأمانته، ثارت غيرته وسألها كيف عرفت أنه قوي أمين، فأخبرته أنه سقى لهما بقوة لم تعهدها من غيره من الرجال، وذلك دليل قوته، وأما عن أمانته فإنه لما علم بكونها أنثى لم ينظر إليها، بل أمرها أن تمشي خلفه، وتصف له الطريق كي لا يقع بصره عليها [(١)].

هذا هو الظاهر من لفظ الآية أن المراد بالقوة هي قوة الجسد والبنية وهو ما دلت عليه الآثار المروية في تفسير الآية، لكن لا ينبغي قصر مفهوم القوة على القوة البدنية فحسب، بل يمكننا تعديته وتوسيعه ليشمل القوة البدنية والقوة النفسية المعنوية وربما كان ذلك أولى من حصر معنى القوة في القوة البدنية وإن كان ينصرف إليه الذهن انصرافا أوليًّا عند إطلاق لفظ القوة، غير أنه لا يمنع من القول بالعموم، وهو رأي تؤيده ظواهر النصوص الشرعية في الكتاب والسنة، ومن ذلك قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ»[(٢)].

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ١٩/ ٥٦٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، ٤/ ٢٠٥٢، رقم: ٢٦٦٤.

قال الإمام النووي في شرحه للحديث: « المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد وأسرع خروجا إليه وذهابا في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلبا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك (وفي كلٍّ خير) معناه في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات »[(١)].

فالقائم بالمبادرة يحتاج إلى النوعين من القوة ولابد، قوة جسدٍ تعينه على أداء مبادرته على الوجه الأكمل، وقوة نفس وعزيمةٍ تكون بمثابة الوقود الذي يمده بالقوة كلما قابلته عوائق أو عوارض.

وقد تحقق هذان المعنيان للقوة في صاحب المبادرة نبيِّ الله موسى -عليه السلام-، فإذا عدم القائم بالمبادرة أحد المعنيين اعتمد على ما توفر فيه منهما، فقد يكون المرء ضعيف البدن، ولكنه عالي الهمة قوي العزيمة، بل إنه يمكن أن يقوم بمبادرات اجتماعية تتوافق مع حالته ربما لا يستطيع صاحب القوة البدنية القيام بها، وكم رأينا من أصحاب الهمم من كانت إعاقته دافعا للقيام بمبادرات وأعمال ربما لم يستطع أصحاب الأجسام السليمة أن يقدموها، وذلك تحقيق واقعي لمعنى العموم في القوة، والنماذج على ذلك كثيرة.

فإذا اجتمع في القائم بالمبادرة الاجتماعية المعنيان فهو تمام النعمة والخير.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/ ٢١٥.

المبحث الثالث: واجب المجتمع تجاه أصحاب المبادرات الاجتماعية في ضوء القصة

تمهيد:

المبادرة عمل تفاعلي بين طرفين: المبادر والمجتمع، وعلى كل طرف منهما القيام بدوره لكي تنجح المبادرة، ومتى فرط أحدهما فيما يجب عليه، فشلت المبادرة كليا أو جزئيا بحسب حجم التفريط.

والمجتمع الذي يعنيه الباحث في القصة هم الفتاتان ووالدهما.

وقد يثور هنا تساؤل، مفاده:

ما وجه اعتبار موقف والد الفتاتين هو موقف المجتمع، وعدم الالتفات إلى بقية المجتمع الذين حدثت بينهم تلك المبادرة؟

والجواب: لأن العبرة بما يصلح للاستشهاد، وما يصلح للاستشهاد هو موقف والد الفتاتين، فهو في نظر الباحث هو المجتمع، وأما ما عداه فلا اعتبار له، بدليل أن الآيات لم تتحدث عن بقية المجتمع بعدما ظهرت سلبيته في موقف الرعاة الذين كانت بينهم الفتاتان ولم يتقدم أحد منهم بدافع من مروءة أو شهامة لمساعدتهما، بل أعرضوا عنهما ولم يقيموا اعتبارا لضعفهما الفطري، ولا لشيخوخة أبيهما، فتناستهم الآيات وطوت ذكرهم، وركزت على النماذج التي تصلح للاقتداء وهو موقف والد الفتاتين مع موسى عليه السلام، فهو يمثل المجتمع في نظر القرآن دون سواه، وقد صدق ابن مسعود رضي الله عنه حين قال: « إِنَّمَا الْجَمَاعَةُ مَا وَافَقَ طَاعَةَ اللهِ وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ»[(١)].

ولنا أن نتصور عظمة ما قام به موسى -عليه السلام- حين بادر بمساعدة الفتاتين، مع أنهما

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم اللالكائي ١/ ١٢١.

كانتا بين أمة من الناس يسقون، وما التفت إليهما أحد منهم، ولا تقدم لمساعدتهما، إن هذا يعكس لنا فقر هذا المجتمع من المبادرين الراغبين في الخير وصنع المعروف.

وقد يثور سؤال أيضا، مفاده: ولماذا لا يكون ما قدمه والد الفتاتين مجرد رد للجميل الذي قام به موسى مع ابنته؟

قلت: من خلال تتبع ملامح شخصية والد الفتاتين (سواء كان شعيبا عليه السلام أم غيره) يتبين أن ما قام به مع موسى عليه السلام سجية وعادة له وليست من التكلف في شيء، وأي شيء يُجبره على القيام بما قام به، وقد كان يسعه أن لا يستدعيه، ولكنَّ في إرساله ابنته إليه مرة ثانية لتستدعيه دلالة على أنه لم يفعل ما فعل إلا بدافع من فطرة أصيلة، وتاريخ طويل في الكرم وحسن الضيافة.

ولو لم يكن في بيان كرمه وأصالة معدنه سوى أن القرآن سجل له ذلك الموقف لكان كافيا في الشهادة له بكرم الأصل ومتانة الفطرة، وهل بعد شهادة القرآن شهادة؟!

ولقد قدم والد الفتاتين لموسى عليه السلام ما يجب أن يقدمه أي مجتمع لأصحاب المبادرات حتى تستمر مسيرة عطائهم ولا تتوقف.

أما المجتمع في عصرنا الحالي وواقعنا فهو كلٌّ متكامل يجمع بين الأفراد والحكومات، فعلى كل منهما واجب تجاه أصحاب المبادرات.

إن أصحاب المبادرات أصحاب همم، وينبغي أن تهتم بهم الدول والحكومات؛ لأنهم صنف متميز بصفات نادرة ليست عند غيرهم، فلذا يجب تشجيعهم ودعمهم، مما يبعثهم على مواصلة الجهود من أجل خدمة المجتمعات.

فإذا غض المجتمع الطرف عن أصحاب المبادرات، وأهملهم، لفترت هممهم، ولتلاشت

حماستهم شيئا فشيئا، ولذبلت مشاعرهم الموَّارة[١] بحب أوطانهم، وأممهم، ومجتمعاتهم.

ومن خلال التأمل في ما قام به والد الفتاتين مع موسى عليه السلام خرج الباحث بما يجب على المجتمع تجاه أصحاب المبادرات، وقد جاء ذلك في المطالب التالية:

(١) – المراد بالموارة: القوية المتأججة المتوثبة، وهي من قولهم: ريح موارة أي: المثيرة للتراب والغبار لقوتها وسرعتها. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢/ ٨٩١، باب الميم.

المطلب الأول: معالجة المشكلات التي يمكن أن تعوق مسيرتهم الفاعلة في بناء الأوطان

قد يمر أصحاب المبادرات ببعض المشكلات التي تمثل عائقا في سبيل إتمام مبادراتهم، وهذه المشكلات قد تكون مادية تتعلق بالنواحي الاقتصادية الخاصة بهم، وقد تكون مشكلات نفسية ناجمة عن مشاعر سلبية سببها الخوف من تهديدات من شأنها أن تعوق مسيرتهم الفاعلة في بناء المجتمع، ومن الواجب تبنيهم في تلك الظروف للخروج بهم في أقرب فرصة من تلك المشكلات ليتفرغوا للعمل من أجل مجتمعاتهم وأوطانهم.

وفي قصة نبي الله موسى مع الفتاتين لاحظتُ أن والدهما قد بادر بطمأنة الكليم – عليه السلام- بحل مشكلته التي كانت تؤرق باله فقال له: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ﴾، وذلك أنه خرج مطاردا، وهو معرض للفتك به ظلما في أي وقت، «ومن المعلوم أنه لا عيشة لخائف، فكان أهم ما إلى الإنسان الأمان»[(١)]، فآواه إليه، وضمه لبيته، وعرض عليه أن يعمل لديه لما ظهر له من كفاءته البدنية والأخلاقية، وهي مؤهلات ترشح من تتوفر فيه للعمل في أي مكان.

وما قام به والد الفتاتين يعكس لنا دور المجتمع في احتضان أصحاب المبادرات، وتخفيف الأعباء النفسية التي يتعرضون لها، مما يوفر لهم بيئة مناسبة للعمل وإفادة المجتمع، وإن ما ينفق في سبيل حل تلك المشكلات له بالغ الأثر على المجتمع.

ولقد كان لكلام والد الفتاتين أثر عظيم على موسى -عليه السلام-، ويمكننا أن نستنبط منه عدة نقاط يفيد منها المجتمع في التعامل مع أصحاب المبادرات من أجل التخفيف وحل مشكلاتهم، وهي:

١- أنه استمع إليه، ومجرد الاستماع قد يخفف ما بالنفس من مشاعر سلبية كالخوف

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي ١٤/ ٢٦٨.

والهم، ويزيح عن الصدر ما ينوء من آلام وهموم.

٢- أنه لم يضجر من طول السماع، حيث بينت الآيات أنه ﴿قَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾، ومادة القصص، واستخدام صيغة الجمع فيها يفيد أن موسى -عليه السلام- استفاض في الكلام لما ارتاح إلى والد الفتاتين[١].

٣- أن والد الفتاتين قال له ما يشعره بالطمأنينة ﴿لَا تَخَفْ﴾ وهذا كفيل بإيقاف سيل الخوف الجارف في نفسه وإحساسه بأنه قد وجد ملاذا آمنا يأوي إليه.

٤- أنه والد الفتاتين بعث في نفسه الأمل بقوله: نَجَوْتَ، وفي ذلك بعث للأمل في نفسه، وتطمين له بالنجاة مما يتوقعه من فرعون وجنده.

ولابد من شكوى إلى ذي مُروءةٍ يواسيك أو يُسْليك أو يتوجع[٢].

---

(١) ينظر: دروس في فن الحوار وآدابه من قصة موسى مع صاحب مدين وابنتيه، ص: ١٥، ١٦.

(٢) البيت لبشار بن برد، ينظر ديوانه، قافية العين ٤/ ١٠٨.

المطلب الثاني: تشجيع أصحاب المبادرات وتكريمهم ضمانا لاستمرار عطائهم

إن للتشجيع والحث على المثابرة أثرا بليغا في النجاح، ولقد حفل تاريخ الإسلام بالنماذج الكثيرة لتشجيع الأفراد على المضي قدما في كل طريق يكون فيه النفع للأمة، سواء كان تشجيعا على طلب العلم، أو الجهد في سبيل الله، والأمثلة على ذلك كثيرة يصعب حصرها، ولولا التشجيع قتلت مواهب كثيرة، واندثرت عقول متميزة تبشر بمستقبل زاهر.

فعلى المجتمع واجب تجاه أصحاب المبادرات وهو تشجيعهم للمضي قدما في سبيلهم الذي نذروا فيه أنفسهم لخدمة مجتمعاتهم وأمتهم.

وقد تجلى ذلك التشجيع والتكريم في فعل والد الفتاتين، فقد أسرع بمكافأة موسى – عليه السلام–، وبعث إليه بإحدى ابنتيه تستدعيه إلى أبيها ليكافئه على حسن صنيعه، ومروءته، ويدل على ذلك أسلوب الآية، حيث جاء التعبير في قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ﴾، فقد بين ابن عاشور أن« الفاء تؤذن بأن الله استجاب له فقيض شعيبا أن يرسل وراء موسى ليضيفه ويزوجه بنته، فذلك يضمن له أنسا في دار غربة، ومأوى وعشيرا صالحا، وتؤذن الفاء أيضا بأن شعيبا لم يتريث في الإرسال وراءه فأرسل إحدى البنتين اللتين سقى لهما، فجاءته وهو لم يزل عن مكانه في الظل»[(١)].

وقد يمكننا أن نلخص أهم النقاط الواجبة على المجتمع تجاه أصحاب المبادرات من خلال الآية فيما يلي:

١- ضرورة اهتمام الحكومات والمسؤولين بالبحث عن النوابغ وأصحاب الأفكار وإنشاء الهيئات والمؤسسات التي تعتني بأفكارهم ومبادراتهم.

---

(١) التحرير والتنوير الطاهر ابن عاشور ٢٠/ ١٠٣.

٢- أهمية تكريم أصحاب المبادرات ورفع مكانهم بين أفراد المجتمع ليتعمق في نفوسهم الشعور بالولاء والانتماء فلا يهجروا مجتمعاتهم إلى مجتمعات أخرى يجدون فيها التكريم والتشجيع الذي افتقدوه في أوطانهم وبلادهم.

٣- أهمية تبني مشروعاتهم والإنفاق عليها من ميزانية الدولة فما نجح من نجح من الدول إلا بتبني العباقرة والنوابغ وتمهيد الطريق أمام أفكارهم لترى النور.

٤- وضع ميزانيات مخصصة للأفكار تكون ضمن الميزانية العامة للدولة، والاهتمام بالأفكار الجديدة التي تخدم المجتمعات والشعوب، والسخاء في الإنفاق عليها فبمثل هذا يكون تقدم الدول.

المطلب الثالث: تهيئة البيئة المناسبة لأصحاب المبادرات للعمل والاستقرار والإنتاج

الاستقرار أساس النجاح والإنتاج، وما لم يكن هناك استقرار فَفُرص النجاح والتقدم صعبة وربما تكون مستحيلة، وأصحاب المبادرات من أحوج أفراد المجتمع إلى الاستقرار وتوفير بيئة مناسبة للعمل والإبداع؛ لأن المبادرة في الأساس عمل إبداعي ابتكاري، ومثل هذا النوع من الأعمال يحتاج إلى استقرار لكي يكتمل وينجح.

وقد ظهر دور المجتمع في تأمين البيئة المستقرة لأصحاب المبادرات من خلال ما قام به والد الفتاتين مع سيدنا موسى – عليه السلام- فقد بادر بعرض إحدى الفتاتين على موسى للزواج منها.

ولعل في إبهامه وعدم تحديده لفتاة منهما بعينها ما يشير إلى قبوله بالمبدأ بغض النظر عن تعيين إحدى الفتاتين، فذلك مفروغ منه، المهم أن يحدث بينهما صهر ورباط.

وفي هذا إشارة إلى أهمية استغلال تلك الطاقات وضرورة توفير البيئة الآمنة لها، وعلى المجتمع ألا يقصر في البحث عن هذه الكفاءات، فإن استقرارهم يعود على المجتمعات بآثار غاية في الأهمية، وكم رأينا من مجتمعات تبنت الموهوبين والمبدعين، وأصحاب الروح العالية الوثَّابة، وهيئت لهم بيئة مناسبة للاستقرار فأبدعوا وكانوا سببا في نهضة تلك المجتمعات وارتفاع مكانتها بين الأمم.

ولاشك أن ذلك يحتاج إلى فراسة وحسن نظر وعناية في الاختيار، وهو ما أشار إليه الطبري فيما أخرجه عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه-: « أفرس الناس ثلاثة: العزيز حين تفرّس في يوسف فقال لامرأته: ﴿أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا﴾ [(١)]، وأبو بكر حين تفرَّس

---

(١) يوسف: ٢١.

في عمر، والتي قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ...﴾ [١].

وبالتأمل في الآية نلاحظ ما يلي:

١- أن الفتاة اقترحت على أبيها أن يستبقيه عنده بعد ما عاينت بنفسها ما يتمتع به من شهامة ومروءة وأخلاق عالية إضافة إلى تمتعه ببنيان قوي يساعده على العمل والإنتاج.

٢- أن والد الفتاتين عرض عليه مباشرة أن يقيم عنده، وأن يتزوج ابنته من غير غمط لحقه واستغلال لظروفه وبخس لقدراته، ثم إنه خيره ولم يفرض عليه أن يتم السنوات العشر بل جعل الأمر إليه، وفي ذلك إشارة إلى ضرورة التيسير والتخفيف وعدم إثقال كاهل الموهوبين بأغلال من الشروط والإجراءات المعقدة التي تقيدهم وتغل من هممهم الوثابة المتطلعة إلى الخير.

٣- أنه طمأنه بأنه سيجد لديه المأوى والبيئة الصالحة والمعاملة الحسنة وفي ذلك فتح لباب الأمل الباعث على الاستبشار والتفاؤل.

٤- أن موسى عليه السلام أبدى استعداده للعمل والإنتاج، وتعهد أن يقدم ما يستطيع وأشهدَ الله على قوله وجعله وكيلا على عهده، وفي ذلك إشارة إلى أهمية الالتزام بما يتعاهد عليه المرء وأن يبذل ما في طاقته من أجل الوفاء بما التزم به، فقد قدم له مجتمعه ما يستطيع ولم يبخل عليه بما يعينه على تحقيق أفكاره ومبادراته، وعليه أن يفي لمجتمعه بما يحقق له الرخاء والتقدم: ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ .

---

(١) جامع البيان، لابن جرير الطبري ١٥/ ١٩.

الخاتمة

وتشتمل على: أهم النتائج، والتوصيات، وأهم مراجع البحث.

أولاً: أهم النتائج:

من خلال هذه الرحلة الممتعة مع هذا الجزء من قصة سيدنا موسى-عليه السلام- يمكن للباحث أن يخرج ببعض النتائج، وهي:

١- اهتم القرآن الكريم بالمبادرات الاجتماعية اهتماما بالغا، وهذا ما يؤكد حرص الإسلام على المجتمعات، وتقديم النماذج التي من خلالها تحيا متحابة متآلفة.

٢- ما قام به كليم الله تعالى مع الفتاتين مبادرة اجتماعية حقيقية ناجحة تنطبق عليها كل ملامح وسمات المبادرات الاجتماعية الناجحة.

٣- ارتكزت مبادرة سيدنا موسى عليه السلام على أسس كانت سببا في نجاحها، ولابد من توافرها في أية مبادرة اجتماعية.

٤- لابد أن يكون الدافع للقيام بالمبادرة دافعا نبيلا خاليا من أي غرض دنيوي، وأن يقصد القائم بالمبادرة وجه الله بعمله.

٥- لابد من توافر منظومة قيمية وأخلاقية في أية مبادرة اجتماعية وإلا فشلت، ولم تؤت ثمارها المرجوة.

٦- لابد من توافر مؤهلات خاصة فيمن يقوم بالمبادرة الاجتماعية، أهمها القوة والأمانة، وقد اجتمعت تلك المؤهلات في سيدنا موسى عليه السلام.

٧- توافرت في مبادرة سيدنا موسى عليه السلام كل المؤهلات الأخلاقية اللازمة لنجاح أية مبادرة.

٨- لا يقتصر مفهوم القوة والأمانة في المبادرة على المعنى المادي المتعارف والمتبادر للذهن عند إطلاقه، بل إنه يشمل تلك المعاني ويشمل معها المفاهيم المعنوية أيضا.

٩- للمجتمع دور هام في إنجاح المبادرات الاجتماعية، وعليه واجب تجاه أصحاب المبادرات، كي ينجحوا في مبادراتهم، ويأتوا بالمزيد الذي يسهم في ارتقاء المجتمع.

١٠- للمبادرة آثار وعواقب رائعة تعود على القائم بها في الدنيا قبل الآخرة، وقد ظهر ذلك في مبادرة موسى عليه السلام فقد كانت مبادرته سببا في تفريج الكرب الذي كان فيه، وتغير مجرى حياته.

١١- يجب على المجتمع تجاه أصحاب المبادرات أن يهيئ لهم بيئة مناسبة للعمل والاستقرار، وأن يعالج ما قد يواجههم من مشكلات، وأن يبادر بتكريمهم تشجيعا لهم وعونا على بذل المزيد في خدمة الأوطان والمجتمعات؛ فإن الاهتمام بأصحاب المبادرات من علامة وعي المجتمع ورقيه واتجاهه للأفضل، وإهمالهم دليل على تراجع كبير في الوعي.

ثانيا: أهم التوصيات:

١- إعداد دراسات تأصيلية تظهر الأبعاد الاجتماعية في النص القرآني لبيان دور النص في خدمة المجتمع، وحل مشكلات الحياة، والبحث عن نماذج جديدة للمبادرات الاجتماعية- وهي كثيرة- في القرآن الكريم لنخرج بمنظومة متكاملة للمبادرات الاجتماعية في القرآن الكريم، والقرآن الكريم زاخر بنماذج كثيرة لأنوع المبادرات الاجتماعية. مثل مبادرة ذي القرنين مع الساكنين بين السدين، ومبادرة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع ضيوفه، والمبادرات بين الزوجين عند نشوز أحدهما، ومبادرات الصلح بين المسلمين، وغيرها الكثير.

٢- التركيز على جهود المفسرين في التعامل مع النصوص القرآنية وبيان ما لهم من دور كبير في استخراج الأبعاد الحضارية في النصوص القرآنية، من خلال أطروحات وأبحاث تعالج هذا الجانب.

ثالثًا: أهم المراجع:

١. الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة- -١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م. بدون رقم طبعة.

٢. الأخلاق الإسلامية وأسسها، الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، الخامسة، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩. الطبعة الخامسة.

٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، العمادي، أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي- دار إحياء التراث العربي - بيروت. بدون رقم طبعة.

٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى، ١٤١٨هـ.

٥. البديع في البديع، ابن المعتز، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، دار الجيل، الأولى ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م.

٦. تاج العروس، الزبيدي، محمد مرتضي الحسيني الزبيدي. تحقيق: مجموعة من المحققين - دار الهداية- د.ت.

٧. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع العدواني، عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي. بدون رقم طبعة.

٨. التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ. بدون رقم طبعة.

٩. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم

الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الأولى، ١٤١٩ هـ

١٠. التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، عبد الكريم يونس، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

١١. التفسير الوسيط، الزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الأولى، ١٤٢٢ هـ.

١٢. التمثيل والمحاضرة، الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، مصر، الثانية، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م .

١٣. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤م.

١٤. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.

١٥. ديوان بشار بن برد، للشاعر بشار بن برد، تحقيق الأستاذ الشيخ: محمد الطاهر بن عاشور، وزارة الثقافة الجزائرية، ٢٠٠٧م.

١٦. روح المعاني، الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، دار إحياء التراث، العربي- بيروت، د.ت.

١٧. شرح المعلقات السبع، للزوزني، لأبي عبد الله، حسين بن أحمد بن حسين، دار احياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢ م.

١٨. شرح النووي على مسلم، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثانية، ١٣٩٢ه.

١٩. صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه

وسلم وسننه وأيامه)، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٠. صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. د.ت.

٢١. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م.

٢٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي، بيروت، الثالثة، ١٤٠٧ هـ.

٢٣. مجمع الأمثال، الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت، لبنان، د.ت.

٢٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٥. معجم البلدان، الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت، الثانية، ١٩٩٥م.

٢٦. مفاتيح الغيب، (التفسير الكبير)، الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٢٧. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد،

تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٨. مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م.

٢٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث باللغة العربية ٢١٩

ملخص البحث باللغة الإنجليزية ٢٢٠

مقدمة ٢٢٢

مشكلة البحث: ٢٢٣

حدود البحث: ٢٢٣

أهداف البحث: ٢٢٣

المنهج المتبع في البحث: ٢٢٤

الدراسات السابقة: ٢٢٤

خطة البحث: ٢٢٥

تمهيد في تعريف المبادرة وزمان نزول سورة القصص، وموقع القصة من السورة الكريمة ... ٢٢٧

أولاً: المبادرة لغة واصطلاحا: ٢٢٧

ثانيًا: تعريف بسورة القصص التي وردت فيها آيات المبادرة ٢٢٨

المبحث الأول: الدافع وراء القيام بالمبادرة الاجتماعية في ضوء القصة ورد الشبهات المثارة حولها ٢٣١

المطلب الأول: بيان الدافع وراء قيام نبي الله موسى عليه السلام بمبادرته ٢٣١

المطلب الثاني: رد الأقوال الضعيفة ودفع الإشكالات الواردة في القصة ٢٣٤

أولاً: رد قولٍ ضعيف في تفسير الآية: ٢٣٤

ثانيًا: إشكال ودفعه في القصة: ٢٣٥

المبحث الثاني: المؤهلات الواجب توافرها فيمن يقوم بالمبادرة الاجتماعية في ضوء القصة ٢٣٧

المطلب الأول: المؤهلات الروحية والأخلاقية ٢٣٩

أولا: المؤهلات الروحية: ٢٣٩
ثانيًا: المؤهلات الأخلاقية: ٢٤٢
المطلب الثاني: المؤهلات البدنية ٢٤٨
المبحث الثالث: واجب المجتمع تجاه أصحاب المبادرات الاجتماعية في ضوء القصة ٢٥٠
تمهيد: ٢٥٠
المطلب الأول: معالجة المشكلات التي يمكن أن تعوق مسيرتهم الفاعلة في بناء الأوطان .. ٢٥٣
المطلب الثاني: تشجيع أصحاب المبادرات وتكريمهم ضمانا لاستمرار عطائهم ٢٥٥
المطلب الثالث: تهيئة البيئة المناسبة لأصحاب المبادرات للعمل والاستقرار والإنتاج..... ٢٥٧
الخاتمة ٢٥٩
أولاً: أهم النتائج: ٢٥٩
ثانيا: أهم التوصيات: ٢٦٠
ثالثًا: أهم المراجع: ٢٦١
فهرس الموضوعات ٢٦٥